الأزواج في القرآن الكريم
(دراسة موضوعية)

Al- Azwaj In The Holy Qur'an - A Topical Study

أ. د. أبو الفتوح عبد القادر شاكر فندي

قسم التفسير/ كليه العلوم الإسلامية/ الجامعة العراقية

Dr.abu Alfutooh Abdullqadir Shakir

Education And Scientific Research

Al-Iraqi University

College Of Islamic Sciences

aodo.f92@gmail.com

الملخص

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد:

امتن الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة. وهذه النفس الواحدة هي آدم. والمنة في هذا أن نوع الرجال ليسوا خلقاً مستقلاً وكذلك نوع النساء ليس أصل خلقهم مستقلاً فلو كان النساء خلقن في الأصل بمعزل عن الرجال كأن يكون الله قد خلقهم من عنصر آخر غير الطين مثلاً أو من الطين استقلالاً لكان هناك من التنافر والتباعد ما الله أعلم به ولكن كون حواء قد خلقت كما جاء في الحديث الصحيح من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام كان هذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ولذلك حن الرجل إلى المرأة وحنت المرأة إلى الرجل وتجانسا: حنين الشيء إلى مادته وتجانس المادة بجنسها.

ثم كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل التكاثر من التقاء الرجال والنساء ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بمراعاة هذه الوحدة في الأصل عند تعامل الرجال والنساء، بل أمرنا بما هو أكبر من ذلك أن نتذكر نعمته في خلقنا على هذا النحو، وبأن خلق فينا هذا الميل من بعضنا لبعض وغرس في القلوب الحب والرحمة بين الزوجين.

ثم جاء البحث على مبحثين اما المبحث الاول كان بعنوان مفهوم الزواج واما المبحث الثاني جاء بعنوان: خلق الازواج في القرآن الكريم.

* * *

Summary:

and prayers and peace be upon the Holy Prophet, our Prophet Muhammad and upon his family and companions.

And then:

The Ummah of Allah Subhanahu wa Ta›ala is upon us in the book that we created the community of men and women from one soul. And this self is Adam. And the fault in this is that the nature of men is not a permanent creation, and the nature of women is not the origin of their creation. Because Eve was created as it came in the correct hadith from the district of Adam, peace be upon him, this means that the woman is originally a piece of the man, and therefore the man is a part of the woman and the woman is a part of the man and is compatible: the thing is compatible with its substance and the substance is compatible with the sexes.

mercy of God Almighty to make multiplication from the meeting of men and women, and therefore God Almighty commanded us to observe this unity in the origin when interacting with men and women, but He commanded us even more than that to remember His favor in creating us in this way, and that He created this tendency in us. From each other to each other and grow in the hearts of love and mercy between the spouses.

Then came the search on the topics, but the first topic was called the concept of marriage, but the second topic was called the concept of marriage in the Holy Qur'an

❊ ❊ ❊

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على النبي الأمين، نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ أما بعد:

امتن الله سبحانه وتعالى علينا في كتابه أن خلقنا معشر الرجال والنساء من نفس واحدة. وهذه النفس الواحدة هي آدم. والمنة في هذا أن نوع الرجال ليسوا خلقاً مستقلاً وكذلك نوع النساء ليس أصل خلقهم مستقلاً فلو كان النساء خلقن في الأصل بمعزل عن الرجال كأن يكون الله قد خلقهم من عنصر آخر غير الطين مثلاً أو من الطين استقلالاً لكان هناك من التنافر والتباعد ما الله أعلم به ولكن كون حواء قد خلقت كما جاء في الحديث الصحيح من ضلع من أضلاع آدم عليه السلام كان هذا يعني أن المرأة في الأصل قطعة من الرجل، ولذلك حن الرجل إلى المرأة وحنت المرأة إلى الرجل وتجانسا: حنين الشيء إلى مادته وتجانس المادة بجنسها.

ثم كان من رحمة الله سبحانه وتعالى أن جعل التكاثر من التقاء الرجال والنساء لقاء يكون فيه الإفضاء لكامل، والالتصاق الكامل واللذة الكاملة وذلك ليحقق قول النبي ﷺ: [النساء شقائق الرجال]، فالرجل والمرأة وجهان لعملة واحدة. أو شقان لشيء واحد.

وهذا الخلق على هذا النحو من أعظم آيات الله سبحانه وتعالى، كما قال جل وعلا: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ﴾(١).

ولذلك أمرنا الله سبحانه وتعالى بمراعاة هذه الوحدة في الأصل عند تعامل الرجال والنساء فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾(٢).

بل أمرنا بما هو أكبر من ذلك أن نتذكر نعمته في خلقنا على هذا النحو، وبأن خلق فينا هذا الميل من بعضنا لبعض وغرس في القلوب الحب والرحمة بين الزوجين كما قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(٣).

---

(١) سورة الأنعام : ٩٨.

(٢) سورة النساء : ١.

(٣) سورة الروم : ٢١.

ويظهر من خلال الآية الكريمة أن الزواج يجمع بين كونه آية ومودة ورحمة ولا ترتاح النفس ولا تطمئن بدونه، كما أنه عبادة يستكمل الإنسان بها نصف دينه، ويلقى ربه بها على أحسن حال من الطهر والنقاء.

* * *

المبحث الأول

مفهوم الزواج وما يتعلق به

المطلب الأول :تعريف الزواج لغةً :

ذهب أهل اللغة أن لفظة الزوج و الزوجة : أصل يدل على الاقتران والملازمة بين شيئين، ويرجع ابن فارس مادة الزاء والواو والجيم إلى معنى «مقارنَة شيء لشيء من ذلك الزوج زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها»(١) ومنه قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا﴾(٢).

وقال ابن سيده : ﴿ويدل على أَن الزوجين في كلام العرب اثنان﴾(٣).

ويقال للمرأَة : مزواجا إذا كانت كثيرة الأَزْواج الزَّوَجَةِ ، والأَصل في الزَّوْجِ الصِّنْفُ والنَّوْعُ من كل شيءٍ وكل شيئين مقترنين شكلين كانا أَو نقيضين فهما زوجان؛ وكلُّ واحد منهما زوج؛ و زوج المرأَة بعلها و زوج الرجل امرأَته(٤).

والزوج الشكل يكون له نظير كالأصناف والألوان أو يكون له نقيض كالرطب واليابس والذكر والأنثى والليل والنهار والحلو(٥).

---

(١) مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م ، ٣٥/٣.

(٢) سورة البقرة الآية : ٣٥.

(٣) المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م ، ٣٦٤/٧.

(٤) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م ، ١٦٣٥/٤.

(٥) المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت ، ٢٥٨/١.

المطلب الثاني : تعريف الزواج اصطلاحاً:

الزواج : عقد ينتج عن إبرامه مباشرة حل استمتاع أحد الزوجين بالآخر على الوجه المطلوب شرعا، ويجعل لكل منهما حقوقاً وواجبات اتجاه الطرف الآخر﴿١﴾.

وقال محمد أبو زهرة «إنه عقد يفيد حل العشرة بين الرجل والمرأة بما يحقق ما يتقاضاه الطبع الإنساني وتعاونهما مدى الحياة ويحد ما لكليهما من حقوق وما عليه من واجبات»[٢].

وجاء لفظ (الزوج) في القرآن الكريم على ثلاثة معان رئيسة:

الأول: بمعنى الزوجة حليلة الرجل، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾[٣]، وقوله سبحانه: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾[٤]، فلفظ (الزوج) في هاتين الآيتين المراد منه زوجة الرجل وحليلته[٥].

الثاني: بمعنى الصنف، من ذلك قوله عز وجل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾[٦]، أي: أنبتنا من كل صنف من أصناف النبات زوجين اثنين. ونظير هذا قوله سبحانه: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا﴾[٧] ، أي: الأصناف بجميع أشكالها وصورها، من الجماد، والنبات، والحيوان، والإنسان. وبحسب هذا المعنى جاء قوله عز وجل: ﴿ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المعز اثنين﴾[٨].

الثالث: الزوج بمعنى القرين والنظير، من ذلك قول الباري تعالى: ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾[٩]، أي: نظراءهم، وقرناءهم، وأتباعهم، ومن أشبههم من الظلمة[١٠].

---

(١) رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م ، ٢٦٠/٢ ، مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي ﴿ت: ٩٧٧هـ﴾، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م ، ١٢٣/٣.

(٢) محاضرات في عقد الزواج وآثاره: محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي القاهرة، ١٩٧٧م.

(٣) سورة النساء:١٢.

(٤) سورة الزخرف:٧٠

(٥) مفاتيح الغيب التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ ، ٣٠/١٠.

(٦) سورة الشعراء:٧.

(٧) سورة يس:٣٦

(٨) سورة الأنعام:١٤٣

(٩) سورة الصافات:٢٢

(١٠) الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م ، ٥٢٣/٣.

وقال ابن كثير: يعني بـ (أزواجهم) أشباههم وأمثالهم[١]. وروي عن عمر رضي الله عنه أنه قال: يجيء صاحب الربا مع أصحاب الربا، وصاحب الزنا مع أصحاب الزنا، وصاحب الخمر مع أصحاب الخمر. ونحو هذا قوله تعالى: ﴿وإذا النفوس زوجت﴾[٢] ، أي: قُرنت بأشكالها في الجنة والنار.

المطلب الثالث : ورود الزوجية في القرآن الكريم :

ورد لفظ " الزوج" في القرآن الكريم ـ مفردا ومثنى وجمعا ـ ستا وسبعين مرة، وورد فعل التزويج ماضيا خمس مرات. وحاصل هذه الموارد في الإحصاء الآتي:

اللفظة	عـــدد الورود	السور التي ورد فيها
زوج	٦	النساء - الحج -الشعراء - لقمان - ق.
زوجاً	١	البقرة.
زوجك	٤	البقرة - الأعراف - طه - الاحزاب.
زوجة	٢	البقرة - الأنبياء.
زوجها	٤	النساء - الاعراف - الزمر - المجادلة.
زوجان	١	الرحمن.
زوجين	٦	هود - الرعد-المؤمنون - الذاريات - النجم - القيامة.
أزواج	١٠	البقرة - آل عمران - النساء - الانعام - الاحزاب - يس - ص - الزمر - الزخرف.

(١) تفسير القرآن العظيم ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ١٢ /١١.
(٢) سورة التكوير:٧

أزواجاً	١٤	البقرة - الرعد - الحجر - النحل - طه - الروم - فاطر - الشورى - الواقعة -التحريم - النبأ.
أزواجك	٤	الأحزاب - التحريم.
أزواجكم	٨	النساء - التوبة - النحل - الشعراء - الأحزاب - الزخرف - الممتحنة - التغابن.
أزواجنا	٢	الأنعام - الفرقان.
أزواجه	٣	الأحزاب - التحريم.
أزواجهم	١٠	البقرة - الرعد- المؤمنون- النور- الأحزاب - يس- الصافات - غافر - الممتحنة - المعارج.
أزواجهن	١	البقرة.
زوجناكها	١	البقرة.
زوجناهم	٢	الدخان - الطور.
يزوجهم	١	الشورى.
زوجت	١	التكوير.

* * *

المبحث الثاني

خلق الأزواج في القرآن الكريم

المطلب الأول : عموم الزوجية لكل شيء :

يظهر من آيات عديدة أن الله سبحانه وتعالى خلق كل شيء من زوجين، وأن الزوجية لا تخص الإنسان وحده بل تتعداه إلى الحيوان والنبات والثمار وسائر المخلوقات مما نعلم أو لا نعلم ، قال تعالى : ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾(١)، ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾(٢)، ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

قال الطبري المراد من الآية "وهو أن الله تبارك وتعالى، خلق لكل ما خلق من خلقه ثانياً له مخالفا في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، ولذلك قيل: خلقنا زوجين"(٤).

وقال الراغب الأصفهاني وقوله ﴿سبحان الذي خلق الأزواج﴾، ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين﴾ فتنبيهٌ أن الأشياء كلها مركبة من جوهر وعرض ومادة وصورة، وأن لا شيء يتعرى من تركيب يقتضي كونه مصنوعاً وأنه لا بد له من صانع تنبيهاً أنه تعالى هو الفرد، وقوله: ﴿خلقنا زوجين﴾ فبين أن كل ما في العالم زوج من حيث إن له ضداً أو مثلاً أو تركيباً ما، بل لا ينفك بوجه من تركيب، وإنما ذكر ههنا زوجين تنبيهاً أن الشيء وإن لم يكن له ضد ولا مثل فإنه لا ينفك من تركيب جوهر وعرض، وذلك زوجان (٥).

وقال ابن كثير: ﴿سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض﴾ أي: من زروع وثمار ونبات، ﴿ومن أنفسهم﴾ فجعلهم ذكرًا وأنثى، ﴿ومما لا يعلمون﴾ أي: من مخلوقات شتى لا يعرفونها كما قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾(٦).

---

(١) سورة يس : ٣٦.

(٢) سورة الزخرف : ١٢.

(٣) الذاريات : ٤٩.

(٤) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م ، ٢٢/٤٤٠.

(٥) المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، ط١، ١٤١٢ هـ ، ص٣٨٥.

(٦) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق:

قال سيد قطب : وهذه حقيقة عجيبة تكشف عن قاعدة الخلق في هذه الأرض ـ وربما في هذا الكون إذ إن التعبير لا يخصص الأرض ـ قاعدة الزوجية في الخلق، وهي ظاهرة في الأحياء، ولكن كلمة (شيء) تشمل غير الأحياء أيضا، والتعبير يقرر أن الأشياء كالأحياء مخلوقة على أساس الزوجية. وحين نتذكر أن هذا النص عرفه البشر منذ أربعة عشر قرنا، وأن فكرة عموم الزوجية ـ حتى في الأحياء ـ لم تكن معروفة حينذاك فضلا على عموم الزوجية في كل شيء، حين نتذكر هذا نجدنا أمام أمر عجيب عظيم وهو يطلعنا على الحقائق الكونية في هذه الصورة العجيبة المبكرة كل التبكير ﴾[١].

والقرآن الكريم إذ كشف عن هذه الحقيقة العجيبة إجمالا في مثل هذه الآيات، فصلها في آيات أخرى فتحدث عن زوجية أنواع من المخلوقات وقصد من الزوج صنفا من نوع هذه المخلوقات: كالذكر أو الأنثى من نوع الإنسان في نحو قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى﴾[٢] ، وكالذكر أو الأنثى من الإبل والبقر والضأن والمعز من نوع الأنعام في نحو قوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ. ثم ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ نَبِّئُونِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾[٣] ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾[٤].

وكالصنف من نوع الثمار والنبات في نحو قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[٥]، ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾[٦].

سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م ، ٥٧٥/٦.

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق، بيروت، القاهرة، ط١٧، ١٤١٢هـ ٣٣٨٥/٦.

(٢) سورة النجم : ٤٥.

(٣) سورة الأنعام : ١٤٢ - ١٤٣.

(٤) سورة فاطر : ٦.

(٥) سورة الرعد : ٣.

(٦) سورة طه : ٥٣.

المطلب الثاني: وظائف الزوجية الكونية ومقاصدها :

إن ثنائية الكائنات وازدواجها على اختلاف أنواعها يعد مظهرا من مظاهر آيات الله في الكون والخلق، من خلاله يتجلى كمال قدرته ونهاية حكمته وعظيم إنعامه، كما يعد ذلك دليلاً على وحدانيته تعالى وعدم مشابهته لغيره، فهو سبحانه الواحد الأحد وغيره زوج مفتقر إلى غيره لصلاحه وتمامه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾(١)، قال الإمام ابن كثير أي: جميع المخلوقات أزواج: سماء وأرض، وليل ونهار، وشمس وقمر، وبر وبحر، وضِياء وظَلام، وإيمان وكُفر، وموت وحياة، وشَقاء وسَعادة، وجنَّة ونار، حتى الحيوانات والنَّباتات، ولهذا قال: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ أي: لتعلموا أن خالق الأزواج واحدٌ لا شريك له(٢).

قال القرطبي من تفسير قوله تعالى: ﴿وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ أي صنفين ونوعين مختلفين، لتعلموا أن خالق الأزواج فرد، فلا يقدر في صفته حركة ولا سكون، ولا ضياء ولا ظلام، ولا قعود ولا قيام، ولا ابتداء ولا انتهاء ، إذ عز وجل وِتْرٌ ﴿ليس كمثله شيء﴾(٣).

وقال سيد قطب في قوله تعالى : ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾(٤) فنظم لكم حياتكم من أساسها، وهو أعلم بما يصلح لها وما تصلح به وتستقيم، وهو الذي أجرى حياتكم وفق قاعدة الخلق التي اختارها للأحياء جميعاً، فهنالك وحدة في التكوين تشهد بوحدانية الأسلوب والمشيئة وتقديرها المقصود، إنه هو الذي جعلكم ـ أنتم والأنعام ـ تتكاثرون وفق هذا المنهج وهذا الأسلوب ثم تفرد هو دون خلقه جميعا، فليس هنالك من شيء يماثله ، والفطرة تؤمن بهذا بداهة فخالق الأشياء لا تماثله هذه الأشياء التي هي من خلقه(٥).

فالكائنات وإن اشتركوا في الخلق أزواجاً فقد افترقوا من حيث إن زوجية كل نوع تتميز عن غيرها بتدبير إلهي خاص يجعل هذا النوع أو ذاك صالحاً بوضع الفطرة لما خلق له: قال تعالى مبينا تصرفه الحكيم المتعلق بالنبات:

---

(١) سورة الذاريات : ٤٩.

(٢) تفسير القرآن العظيم ، ٣٣٩/١٤.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م ، ٥٣/١٧.

(٤) سورة النحل :٧٢.

(٥) في ظلال القرآن ، ٣١٤٦/٥.

- ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى﴾(٢).

ولاحظ أنه تعالى خص زوج النبات ـ دون غيره من الأزواج ـ بوصف الكرم والبهجة والكثرة.

إن الزوجية أسلوب فريد ارتضاه الله سبحانه وتعالى للتكاثر وبقاء النوع والاستمرار، قال تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٣).

قال الزمخشري : ﴿يذرؤكم﴾ يكثركم ﴿فِيهِ﴾ في هذا التدبير، وهو أن جعل للناس والأنعام أزواجاً، حتى كان بين ذكورهم وإناثهم التوالد والتناسل(٤).

وقال ابن عطية : وقوله ﴿يذرؤكم﴾ أي يخلقكم نسلاً بعد نسل وقرناً بعد قرن، فلفظة ذرأ تزيد على لفظة خلق معنى آخر ليس في خلق وهو توالي الطبقات على مر الزمان(٥).

والإنسان باعتباره عنصراً مركزياً في هذا الكون حظي بالقسط الوافر من حديث القرآن الكريم عن زوجيته إذ بَين منشأها وأصلها الواحد سواء في صورتها الأولى مع أول زوجين: ﴿نفس واحدة﴾ أو بالنسبة لسائر الأزواج: ﴿مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى﴾(٦)، كما أوضح طريق إيجادها وكيفية حصولها: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾(٧).

كما وردت آيات عديدة تحدثنا عن نعمة الأزواج وجعل الأزواج من الأنفس، ولم يرد تفصيل هذه النعمة بالقدر الذي ورد ما يفيد تعلقها بالناس المخاطبين في مثل ﴿جعل لكم﴾ و ﴿خلق لكم﴾ و ﴿أنزل لكم﴾، و ﴿لكم﴾ أي "لأجل نفعكم، فالله سبحانه وتعالى قدر في

---

(١) سورة فصلت : ٣٩.

(٢) سورة طه : ٥٣.

(٣) سورة الشورى : ١١.

(٤) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ ، ٢١٢/٤.

(٥) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢ هـ ، ٢٨/٥.

(٦) سورة النجم : ٤٦.

(٧) سورة فاطر : ١١.

هذه الزوجية خدمة الإنسان، وقدر في جعل الأزواج من الأنفس نفع الإنسان، قال الإمام الطاهر بن عاشور متحدثا عن نعمة الأزواج من أنفس الإنسان خاصة: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا﴾[١] وهذه نعمة إذ جعل قرين الإنسان متكوّناً من نوعه، ولو لم يجعل له ذلك لاضطُرّ الإنسان إلى طلب التأنّس بنوع آخر فلم يحصل التأنّس بذلك للزوجين، وهذه الحالة وإن كانت موجودة في أغلب أنواع الحيوان فهي نعمة يدركها الإنسان ولا يدركها غيره من الأنواع، وليس من قوام ماهيّة النّعمة أن ينفرد بها المنعم عليه[٢].

ويتساوى الزوجان من الإنسان أي الذكر والأنثى في الانتفاع بما سخر الله لهما من أزواج المخلوقات، ولذلك عاب الحق سبحانه على المشركين من قريش الذين كانت من سنتهم في بعض الأنعام أن يحرموا ما في بطونها على الإناث ويخصصونه للذكور، قال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾[٣] إن الانتفاع بنعم الأزواج غير تابع للأهواء وإنما هو بقدر الحاجة التي ورد تحديدها من الخالق المنعم الذي يعلم السر وما يصلح، وأي تجاوز لهذا الحد هو انحراف عن المقصود وعدوان صريح يوجب النكير والوعيد: قال تعالى: ﴿أَتَأْتُونَ الذُّكْرَانَ مِنَ الْعَالَمِينَ وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ﴾[٤].

قال الإمام الطاهر بن عاشور: وفي قوله: ﴿ما خلق لكم ربكم﴾ إيماء إلى الاستدلال بالصلاحية الفطرية لعمَلٍ على بطلان عمل يضاده لأنه مناف للفطرة، فهو من تغيير الشيطان وإفساده لسنة الخلق والتكوين[٥].

وقال سيد قطب: «...فقد برأ الله الذكر والأنثى وفطر كلا منهما على الميل إلى صاحبه لتحقيق حكمته ومشيئته في امتداد الحياة عن طريق النسل الذي يتم باجتماع الذكر والأنثى، فكان هذا الميل طرفا من الناموس الكوني العام الذي يجعل كل من في الكون وكل ما في الكون في حالة تناسق وتعاون على إنفاذ المشيئة المدبرة لهذا الوجود، فأما إتيان الذكور فلا يرمي إلى هدف ولا يحقق غاية ولا يتماشى مع فطرة هذا الكون وقانونه»[٦].

---

(١) سورة النحل : ٧٢.

(٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ ، ٢١٨/١٤.

(٣) سورة الانعام : ١٣٩.

(٤) سورة الشعراء : ١٦٥ - ١٦٦.

(٥) التحرير والتنوير لابن عاشور ، ١٧٩/١٩.

(٦) في ظلال القرآن ، ٢٦١٣/٥.

إن الله سبحانه وتعالى يدعو الناس كافة من خلال عرض آية الزوجية في الكون إلى التذكر والتفكر، قال تعالى: ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾، ﴿وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾(١)، كما يدعو المنيبين منهم خاصة إلى التبصر مع ذلك التذكر: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾(٢).

قال الإمام الطبري: وقوله ﴿لعلكم تذكرون﴾ يقول: لتذكروا وتعتبروا بذلك، فتعلموا أيها المشركون بالله أن ربكم الذي يستوجب عليكم العبادة هو الذي يقدر على خلق الشيء وخلافه ، وابتداع زوجين من كلّ شيء لا ما لا يقدر على ذلك»(٣).

والتذكر هو من خواص أولي الألباب وأهل الإنابة إليه تعالى، والتبصر هو قدرة على إدراك بواطن الأمور وليس مجرد النظر إلى ظواهرها، والتفكر يهدي صاحبه إلى ما هو حق في الاعتقاد وما هو نافع في العمل، وفي جعل ذلك كله مقاصد لما قدره الله تعالى من زوجية في المخلوقات دون غيره ليحمل أكثر من دلالة على عمق هذه الحقيقة في الوجود والتي لا يقدر على سبر أغوارها إلا من جمع بين قوة الإدراك وسداد النظر وقوة الإيمان ونور البصيرة.

* * *

(١) سورة الرعد : ٣.
(٢) سورة ق : ٧ -٨.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن ، ٢٢/٤٤٠.

الخاتمة

تبين لنا من خلال البحث ما يلي :

١- أن الزواج هو الاقتران بين الرجل والمرأة وهو عملية انسانية قائمة على الحقوق والواجبات وراءها مقاصد عديد ولا تقتصر على جانب الاستمتاع.

٢- اهتمام القرآن الكريم بموضوع الزواج بكل جوانبه وأبعاده ابتداءً من مرحلة الاختيار واستمرار الحياة الزوجية بالوفاء.

٣- حرص القرآن الكريم وهو يعالج قضايا الزواج المختلفة على ربطها بالعقيدة والأخلاق والأحكام الشرعية وهي بدورها مقومات بنائية للحياة الزوجية الناجحة والمستقرة.

٤- العلاقة بين الزوجين وفق التصور القرآني قائمة على الحب والتراحم والتشاور واستشعار المسؤولية المشتركة.

* * *

المصادر والمراجع

١. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت : ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر ، تونس، ١٩٨٤هـ.

٢. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (ت: ٧٧٤هـ) ، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

٣. جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (ت: ٣١٠هـ) ، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، ط١، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م.

٤. الجامع لأحكام القرآن ،أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (ت: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية ، القاهرة ، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

٥. رد المحتار على الدر المختار، ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين الدمشقي الحنفي (ت: ١٢٥٢هـ) ، دار الفكر، بيروت ، ط٢، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.

٦. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت: ٣٩٣هـ) ، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط٤، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧م.

٧. في ظلال القرآن، سيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (ت: ١٣٨٥هـ)، دار الشروق ، بيروت، القاهرة ، ط١٧، ١٤١٢هـ.

٨. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت: ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ط٣ ، ١٤٠٧هـ

٩. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (ت: ٥٤٢هـ) ، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢٢ هـ

١٠. المحكم والمحيط الأعظم أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠م.

١١. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير ، أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (ت: نحو ٧٧٠هـ) ، المكتبة العلمية ، بيروت.

١٢. معجم مقاييس اللغة ، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون ، دار الفكر ، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

١٣. مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج، شمس الدين، محمد بن أحمد الخطيب الشربيني الشافعي (ت: ٩٧٧هـ)، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.

١٤. مفاتيح الغيب - التفسير الكبير ، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ) ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، ط٣ ، ١٤٢٠ هـ.

١٥. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ) ، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية ، ط١، ١٤١٢هـ.

١٦. الوسيط في تفسير القرآن المجيد، أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، النيسابوري، الشافعي (ت: ٤٦٨هـ) ، دار الكتب العلمية، بيروت ، لبنان ، ط١، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤م.

* * *